أسماء الله الحسنى

الْحَيُّ الْقَيُّومُ

اللقاء الواحد والعشرون

الْحَمْدُ لِلّهِ الّذي أرادَ فَقَدّر، وَمَلَكَ فَقَهَر، وَخَلَقَ فَأَمَر، وعُبِدَ فأثابَ وَشَكَر، وَعُصِيَ فَعَذّبَ وَغَفَر، وَجَعَلَ مَصِيرَ الّذينَ كفروا إلى سَقر، والّذِينَ اتّقَوْا ربّـهُم في جنّاتٍ وَنـهَرْ. نَـحْمَدُهُ تَعالى وَحَمْدُهُ فرْضٌ لازِمٌ، وَنَشْكُرُهُ عزَّ وَجَلّ عَلى فَضْلِهِ الْمُسْتَمِرّ وَإحْسَانِهِ الدّائِم. وأشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وَأشْهَدُ أنّ مُـحَمّداً عبدُهُ ورسُولُهُ، صلّى اللهُ عليْهِ وعلى آلهِ وَصَحْبِهِ وسلّم تسْليماً كَثِيراً، أما بعد:

قال ابن القيم: "فالسَّير إلى الله من طريق الأسماء والصِّفات شأنُه عجَب وفتحه عجَب، صاحِبُه قد سيقَت له السَّعادة وهو مستلقٍ على فراشه غير تعِبٍ ولا مَكدود، ولا مشتَّت عن وطنه، ولا مشرَّد عن سكنه".

قال ابن تيمية عن مَعرفة الله: "الذي مَعرفتُه غاية المعارِف وعبادتُه أشرَفُ المقاصِد، والوصول إليه غايةُ المطالِب، بل هذا خُلاصة الدَّعوة النبويَّة وزبدة الرِّسالة الإلهيَّة".

يقول ابن القيم رحمه الله: "إِذَا بَلَغَ الْعَبْدُ فِي مَقَامِ الْمَعْرِفَةِ إِلَى حَدٍّ كَأَنَّهُ يُطَالِعُ مَا اتَّصَفَ بِهِ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَنُعُوتِ الْجَلَالِ، وَأَحَسَّتْ رُوحُهُ بِالْقُرْبِ الْخَاصِّ الَّذِي لَيْسَ هُوَ كَقُرْبِ الْمَحْسُوسِ مِنَ الْمَحْسُوسِ، حَتَّى يُشَاهِدَ رَفْعَ الْحِجَابِ بَيْنَ رُوحِهِ وَقَلْبِهِ وَبَيْنَ رَبِّهِ، فَإِنَّ حِجَابَهُ هُوَ نَفْسُهُ، وَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنْهُ ذَلِكَ الْحِجَابَ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ أَفْضَى الْقَلْبُ وَالرُّوحُ حِينَئِذٍ إِلَى الرَّبِّ، فَصَارَ يَعْبُدُهُ كَأَنَّهُ يَرَاهُ".

عن أبي أمامة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: " اسْمُ اللهِ الأعْظَمُ الذي إذا دُعِيَ بهِ أجابَ؛ في ثلاثِ سُوَرٍ من القُرآنِ: في (البَقرةِ) و (آلِ عِمْرانَ)، و (طه) ". صحيح الجامع قال القاسم بن عبد الرحمن -راوٍ من التابعين-: "فالتمست في البقرة، فإذا هو في آية الكرسي: (اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) [البقرة:255]، وفي آل عمران فاتحتها: (ألم* اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) [آل عمران:2]، وفي طه: (وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ) [طه:111].

ومن حديث أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: "يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟" قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟" قَالَ: قُلْتُ: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ). قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ: "وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ" رواه مسلم.

وبالتأمل والنظر في الحديثين الآنفين، نجد دلالات بالغة على مكانة اسم الله "الحيّ القيوم" الذي سوف نعيش في رياض معانيه، وروائع دلالاته التي تجعل من حياة العبد الذي يعمل على تحقيقها سعادة ما فوقها سعادة، وهناء ما بعده هناء.

من أسماء الله الحسنى: الْحَيُّ الْقَيُّومُ وهما اسمان وردا في القرآن مقترنين في ثلاثة مواضع:

أولها في آية الكرسي: (اللهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) [سورة البقرة:255]

والثاني في أول سورة آل عمران: (الم * اللهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) [آل عمران :2]

والثالث في سورة طه: (وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ) [طه:111]

واسم الحي مشتق في اللغة من الحياة، والحياة نقيض الموت، وقد يراد به الحيي الذي يستحي والحياء خلق له، وحياة الله تعني: الباقي حيا بذاته أزلا وأبداً، والأزل هو دوام الوجود في الماضي، والأبد هو دوام الوجود في المستقبل، وكل حي سوى الحي ليس حياة بذاته؛ إنما هو حي بإمداد الحي، ولذلك قيل إن اسم "الحي" هو اسم الله الأعظم.

واسمه تبارك وتعالى الحي فيه إثبات الحياة صفةً لله -عزَّ وجل-، وهي حياة كاملة ليست مسبوقة بعدم، ولا يلحقها زوال وفناء، ولا يعتريها نقص وعيب - جلَّ ربنا وتقدَّس عن ذلك-، قال -تعالى-: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ *وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) [الرحمن:26-27].

فكل ما سوى الله سيموت وينتهي، يقول السعدي: "أي: كل من على الأرض، من إنس وجن ودواب وسائر المخلوقات، يفنى ويموت ويبيد، ويبقى الحي الذي لا يموت".

إن حياة الله حياة لم يسبقها عدم، وما من أحد إلا وقد سبق حياتَه عدمٌ، إلا الله الحي -سبحانه-، قال ربنا:(هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا)[الإنسان:1]، أي: قد مضى على الإنسان وقت طويل من الزمان قبل أن تُنفَخ فيه الروح، لم يكن شيئا يُذكر، ولا يُعرف له أثر.

إن الحي -سبحانه- هو واهب الحياة للخلق، فالحياة لا يملكها أحد غير واهبها، ولا يسلبها أحد غير معطيها، فسبحان الحي، (الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [غافر:68].

فحياة الله كاملة، منزهة من كل عيب أو نقص، وهذا يدل أعظم دلالة على عظم شأن هذا الاسم وجلالة قدره، وما يقتضيه من الذلّ والخضوع لله -تعالى- القائل: (وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا) [طه:111].

حياةٌ تستلزم كمال صفاته سبحانه من علمه، وسمعه، وبصره، وقدرته، وإرادته، ورحمته، وفعله ما يشاء، إلى غير ذلك من صفات كماله، ومن هذا شأنه هو الذي يستحق أن يُعبد ويُركع له ويُسجد، كما قال الله- تعالى:(وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ) [الفرقان:58]

أما الحي الذي يموت، أوالميت الذي هو ليس بحي، أو الجماد الذي ليس له حياة أصلًا؛ فكل هؤلاء لا يستحقون من العبادة شيئًا، والذي يستحق لها هو الله الحي الذي لا يموت، قال الله تعالى: (هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [غافر:65]

تَباركَ اللهُ في عَلياءِ عِزتِهِ.. وجَلَّ مَعنىً فليسَ الوَهمُ يُدنِيهِ.. سبُحَانهُ لم يَزلْ فَرداً بلا شَبَهٍ.. وليسَ في الوَرى شَيءٌ يُضاهِيهِ.. لا كَونَ يَحصُرهُ، لا عَونَ يَنصُرهُ، لا عَينَ تُبصِرُهُ، لا فِكرَ يحويهِ.. جَلالُهُ أزليٌّ لا زوالَ لهُ.. ومُلكُهُ دَائمٌ لا شَيءَ يُفنِيهِ.. حَارتْ جَميعُ الوَرى في كُنهِ قُدرَتِهِ.. فليسَ تُدرِكُ مَعنىً مِنْ مَعانِيهِ.

📂ذَلَّ لجبرُوتِهِ العُظمَاءُ، ووجِلَ مِنْ خَشيَتِهِ الأقوِيَاءُ، وقَامَتْ بقُدرَتِهِ كُلُّ الأشيَاءِ، إليهِ وإلَّا لاَ تُشَدُّ الرّكَائِبُ.. ومِنهُ وإلَّا فالمُؤَمّلُ خَائِبُ.. وفِيهِ وإلَّا فالغَرَامُ مُضَيَّعٌ.. وعَنهُ وإلَّا فالمُحَدّثُ كَاذِبُ.. لَدَيهِ وإلَّا لا قَرارَ لسَاكِنٍ.. عَليهِ وإلَّا لا اعتِمَادَ لطالِبٍ.

📂تُسبِحُ لهُ السمَاواتُ وأَملاكُها، والنَّجُومُ وأفلاكُها، والأرضُ وفِجَاجُها، والبِحَارُ وأمواجُها، والغَاباتُ وأحيَائُها، والأشجَارُ وثِمارُها.

📝هذه المعاني العظيمة لاسم الله الحي، تبين لنا الفارق بين حياته -سبحانه- وحياة مخلوقاته، فالخالق موصوف بالحياة، والمخلوق موصوف بالحياة، ولكن شتان بين الحياتين!، فالحي -سبحانه- حياتُه مُنَزَّهَةٌ عن مشابهة حياة الخلق، لا يجري عليها الموت أو الفناء، ولا تَعْتَريها السِّنَة ولا النَّوم، ولم تُسْبَقْ بعدم، ولا يَلْحَقُها زَوَال.

📝وقد كان من دعائه -ﷺ-: "اللَّهُمَّ لكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وإلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بعِزَّتِكَ، لا إلَهَ إلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الحَيُّ الذي لا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالإنْسُ يَمُوتُونَ". صحيح مسلم

📝وحياة الله -سبحانه- هي من لوازم ذاته وكماله، وكل حي في الدنيا يستمد حياته من الحي -سبحانه-، وفي الآخرة كل الأحياء المخلدون إنما هم أحياء بإحياء الله لهم؛ فالكافر والشَّقيُّ في نار جهنم (لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا) [الأعلى:13]، وأهلَ الجنة في حياةَ النعيم الدَّائمة (وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآَخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [العنكبوت:64]؛ فالله الحي هو الذي وهبهم الحياة، وليست حياتهم في الجنة من لوازم ذواتهم، وهو -سبحانه- الذي قضى عليهم ألا يموتوا، وإن كانت هذه الحياة أكمل من الحياة الدنيا، وهي حياة حقيقية بالنسبة للحياة الدنيا العارضة الزائلة، ولو شاء الله لأهلكهم جميعاً.

📝والحياة التي يوصف بها الإله الواحد هي الحياة الذاتية التي لم تأت من مصدر آخر كحياة الخلائق المكسوبة الموهوبة لها من الخالق؛ ومن ثم يتفرد الله -سبحانه- بالحياة على هذا المعنى؛ كما أنها هي الحياة الأزلية الأبدية التي لا تبدأ من مبدأ ولا تنتهي إلى نهاية، فهي متجردة عن معنى الزمان المصاحب لحياة الخلائق المكتسبة المحددة البدء والنهاية.

قال ابن القيم: وله الحياة كمالها فلأجل ذا *** ما للممات عليه من سلطان

📝فإن اسم الله الحي المشتمل على المعاني والدلالات العظيمة فيه من الآثار الإيمانية والثمار الربانية، ومن ذلك:

أولا: إخلاص العبودية للحي -سبحانه-؛ فالعبد المؤمن إذا فقه اسم الله الحي، فإن ذلك يؤثر في حياته، فلا يصرف العبادة إلا له -سبحانه-، ولا يشرك به أحدا في الدعاء والمحبة والخوف والرجاء...، فإذا دعا غير الله معه فإنه قرن الله الحيّ بمخلوقه الزائل الذي سيموت لا محالة؛ وقد عاب الله على المشركين دعاءهم غير الله؛ لأن الذين يدعونهم من دون الله أموات، فقال: (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) [النحل:20-21]، وقال: (وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [القصص: 88].

📝إن الله الحي -سبحانه- هو الباقي الدائم الذي لا ينتظره موت، ولا يلحقه فناء، والجن والإنس يموتون، وكل شيء هالك إلا وجهه، ولهذا لا يستحق أحد أن يؤلَّهَ ويُعبَدَ ويُحبَ إلا الله

الحي الباقي، ولا يكون مالكا إلا الباقي وارث الأرض ومن عليها، فهو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وإذا كان ما سواه هالكاً فعبادة الهالك الباطل باطلة.

ولذلك فإن أضل خلق الله هم الذين عبدوا غيره من مخلوقات فانية تموت وتذهب مثلهم؛ فما أشقاهم! مثل الذين يعبدون الكواكب، فإنهم يعبدون الآفل؛ لأن هذه الكواكب تغيب وتأفل وتزول، ويعتريها الكسوف والخسوف ونحو ذلك، وتتفتت وتتطاير في الفضاء، ثُمَّ إن مصيرها إلَى الفناء، وليس لها الحياة المطلقة.

لذلك أمر الله عباده بدعائه؛ لأنه هو الحيّ، قال -تعالى-: (هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) [غافر:65].

ثانيا: تمام التوكل عليه، فإن العبد المؤمن بربه الحي، إذا استقرت المعاني الإيمانية في قلبه، فإنه يقبل عليه بالكلية، ولذا قرن الله بين التوكل وبين هذا الاسم، قال -تعالى-: (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ) [الفرقان:58]؛ لأن توكل العبد على غير الله شرك وتوكل في غير محله؛ فقد ينسى الوكيل أو يموت، أما الحي -سبحانه- (لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى) [طه:52].

ثالثا: من آثار اسم الله الحي: تعظيم قدر النفس وصيانتها، وعدم التجرؤ على حق الله في الإماتة والإحياء، وذلك بتعظيم النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، قال -تعالى-: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) [النساء:93].

ومثله أن يقتل المرء نفسه منتحراً، ففي ذلك جناية على النفس، واعتداء على ما هو من حق الله المحيي والمميت، قال النَّبِيّ -صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا" (رواه البخاري).

وقد علمنا نبينا أن نفوض الأمر إلى الله الحكيم، العليم بما هو أصلح لعبده، قَالَ -صلى الله عليه وسلم-: "لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ مُتَمَنِّيًا فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي" (رواه مسلم).

فليَجْتهدَ العبد في نيل حظه من هذا الاسم؛ فَيَسْعَى للحياة الآخرة بالحياة الدُّنْيا، متوكلاً في أموره على الحي القيوم، وليعلم أن حقيقةَ الحياة هي الحياةُ بالرَّبِّ والأنس به، ففي ذلك الحياة الطيبة والسعادة الحقيقة.

هذه المعاني العظيمة لاسم الله "الحي" جعلت كثيرا من أهل العلم يقولون: إن اسم الله "الحي" هو اسمه الأعظم إذا ما قرن باسمه "القيوم"، إذ عليهما مدار كل الصفات الأخرى، فالحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال.

وما من مخلوق إلا وهو محتاج في وجوده واستمراره إلى غيره، فلا حياة للبشر بدون أرض يحيون عليها وهواء يستنشقونه وطعام وشراب وكساء... وكذا كل الكائنات الحية، كذلك هذه الأرض التي تقلنا في حاجة إلى الجبال التي تعمل عمل الأوتاد في تثبيتها، قال -تعالى-: (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ) [النحل: 15]، والسموات السبع الشداد وإن تخيل متخيل أنها قائمة بلا عمد، فإن القيوم -عز وجل- هو من يمسكها كي لا تتدمر، قال -تعالى-: (وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ) [الحج: 65]، وقال -عز من قائل-:(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) [فاطر:41]، وكذا كل شيء في هذا الكون؛ لهو في حاجة إلى من يقوم به ويتولاه ويمسكه وإلا هلك... باستثناء واحد فقط لا ثاني له؛ فليست به حاجة إلى سواه، ولا يعتمد في حياته ودوامه على شيء ولا على أحد، بل هو يقوم بأمر كل الخلائق، ومن دونه هلكت جمعاء؛ ذلك هو الحي القيوم الواحد الأحد الصمد -سبحانه وتعالى-.

"القيوم"، ومعناه: كامل القيام بأمر نفسه وبأمور غيره، تام التدبير لأرزاق المخلوقات وآجالها وأعمالها وأحوالها، الذي لا يحتاج في قيامه إلى شيء، ويحتاج إليه كل شيء.

من معاني اسم "القيوم" أن الله هو القائم بذاته المقيم للعدل بين خلقه في الدنيا، والمقيم بالقسط بينهم في الآخرة حتى تُوزَن الأعمالُ بدِقَّة، وهذه المسألة تفطن لها العلماء ورثة الأنبياء دون غيرهم، الذين يعرفون قدر الله وعدله وقسطه، ولذلك استشهدهم على وحدانيته القائمة بالقسط والعدل، فقال سبحانه: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [آل عمران: 18]، والله تعالى هو قيوم الحياة، وقيوم الممات وقيوم الأرزاق، وهو الذي أقام الأبدان والأرواح، والعقول والفطر، وأقام الهداية بفضله وأقام الغواية بعدله، وأقام الجنة بدوام النعيم، وأقام النار بدوام العذاب بقيوميته، لذا قال: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ) [الروم: 25]، فهو قائم على هذا الكون العظيم بكلياته وجزئياته في كل وقت، في السماوات والأرض، في الدنيا والآخرة، القائم على كل نفس، يعلم أحوالها، ويسمع أقوالها، ويبصر أفعالها.

اسمه تبارك وتعالى القيوم فيه إثبات القيومية صفةً لله، وهي كونه سبحانه قائمٌ بنفسه، مقيمٌ لخلقه، فهو اسم دالٌ على أمرين:

الأول: كمال غنى الرب سبحانه، فهو قائم بنفسه، الغني عن خلقه، قائم بذاته لم يُقِمْهُ غيره، ولا يفتقر في قيامه ودوامه إلى شيء، لأن قيامه -عز وجل- قيام أزلي أبدي لا أول له ولا آخر له.

كما قال عزَّ وجل: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) [فاطر:15]، وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: (يا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي) صحيح مسلم وغناه - جلَّ وعلا - عن خلقه غنىً ذاتي، لا يحتاج إليهم في شيء، غني عنهم من كل وجه.

الثاني: كمال قدرته وتدبيره لهذه المخلوقات، فهو المقيم لها بقدرته سبحانه، وجميع المخلوقات فقيرة إليه لا غنى لها عنه طرفة عين، فالعرش، والكرسي، والسماوات، والأرض، والجبال، والأشجار، والناس، والحيوان كلها فقيرة إلى الله -عزَّ وجل-، قال الله تعالى: (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ) [الرعد:33] وقال تعالى:(وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ) [الروم:25]، والآيات في هذا المعنى كثيرة، فهو سبحانه وتعالى المتصرّف في جميع المخلوقات، المدبّر لكل الكائنات.

فهو سبحانه قائم بكل أمور مخلوقاته في الدنيا والآخرة؛ يحفظهم ويرزقهم ويدبر أمورهم ويصرف أحوالهم ويحصي أعمالهم ويحشرهم ويحاسبهم

يقول ابن القيم في النونية:

هـــذا ومـــن أوصـــافه القيـوم والـ *** قيـوم في أوصـــافه أمـــران

إحداهمـا الـقـيـوم قـام بـنـفـسه *** والكون قام به هما الأمـران

فالأول اسـتـغـنـاؤه عـن غـيره *** والفقر من كـــل إليه الثـاني

والوصف بالقيوم ذو شأن كذا *** موصوفه أيضًا عظيم الشان

لقد ورد اسم الله القيوم في القرآن ثلاث مرات، ولم يأت في هذه المرات الثلاثة إلا مقترنًا باسم الله الحي، وفي هذا تأكيد واضح على حقيقة هامة، وهي أن قيوميته -عز وجل- مستمرة دائمة باقية لا تزول، كما أنه -سبحانه وتعالى- حي لا يموت، وأنه -جلا وعلا- لا تنقطع قيوميته ولا تنتهي أبدًا ولا يغفل عن مخلوقاته طرفة عين، فقيوميته -عز وجل- كاملة، وقد سمعنا القرآن في أول ذكرٍ لاسم الله القيوم في آية الكرسي وهو يقول: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ) [البقرة: 255]، فالنوم والسنة توجبان الغفلة وانقطاع القيومية، لذا فهما محالان على الله -عز وجل-، وقد روى أبو موسى أن رسول الله -ﷺ- قال: " إِنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ لا يَنامُ، ولا يَنْبَغِي له أنْ يَنامَ " (مسلم).وأما المرة الثانية ففي سورة آل عمران وهي قوله -تعالى-: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) [آل عمران: 2]، وأما الثالثة فقوله -سبحانه-: (وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ) [طه: 111].

وكما أن النوم والسِنة محالان على الله -تعالى- لأنهما يضادان قيوميته الدائمة التي لا تزول، فكذلك محال عليه -عز وجل- أن يموت؛ لأن الموت أشد مضادة للقيومية، لذا وصف -تعالى- نفسه في المرات الثلاث بـ"الحي" مع "القيوم"، وقد قال -عز من قائل-: (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ) [الفرقان: 58].

يقول ابن القيم:

والحـي يتـلـوه فأوصاف الكما *** ل هـمـا لأفـق سمائـها قطبان

فالحي والقيوم لن تتخـلف الـ *** أوصـــاف أصلًا عنـهما ببيان

وله الحياة كمالها فلأجـل ذا *** ما للممات عـليه من سلطان

وكذلك القيوم من أوصـــافه *** ما للـمـنـام لـديـه مـن غشيان

إن قيومية الله -تعالى- على هذا الكون وما فيه من كائنات أثمرت إبداعًا وصيانة وحفظًا له ولمن فيه، وهذي بعض مظاهره:

أولًا: النظام المتقن والترتيب الدقيق: فالأفلاك تدور في مدار محدد منذ خلقها الله وإلى يوم القيامة لا تحيد عنه، قال -تعالى-: (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) [يس: 40]، فهو -سبحانه- يدبر أمر الخلائق في العالم العلوي، والكائنات في العالم السفلي، ويدبر الأمر من السماء إلى الأرض، يحيي ويميت، ويعز ويذل، ويثيب ويعاقب، وينصر ويخذل، يخلق في كل لحظة ما لا يحصى من الأحياء من نبات وحيوان وإنسان، ويتكفل بتدبير معاشهم، ويقدر لهم أقواتهم، ويسوق إليهم أرزاقهم، وتحت أمره بقاؤهم وفناؤهم.

ثانيًا: التوازن الفريد بين مكونات الكون والكائنات: فالليل يعقبه نهار، والنهار يتلوه ليل؛ للتوازن بين الراحة والعمل، وقد امتن الله -جل وعلا- علينا بهذا قائلًا: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ

عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [القصص: 71-73].

⇦ومثل هذا التوازن نلحظه في كل جوانب هذا الكون، فالنباتات تأخذ "النيتروجين" وتطرد الأكسجين، والإنسان عكس ذلك، وفي الغابات تأكل الحيواناتُ النباتات ثم تخرجها سمادًا لهذه النباتات، وفيها تفترس الوحوش ضعاف الحيوانات للحفاظ على السلالات القوية...

ثالثًا: قيام الدنيا والآخرة على العدل والقسط: ففي الحديث الذي مر من قليل يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يرفع القسط ويخفضه" (مسلم)، قال ابن قتيبة: "القسط الميزان، وسمي قسطًا لأن القسط العدل، وبالميزان يقع العدل".

قال النووي: "أَمَّا قَوْلُهُ -صلى الله عليه وسلم- "لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ" فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ -سبحانه وتعالى- لَا يَنَامُ، وَأَنَّهُ يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِ النَّوْمُ؛ فَإِنَّ النَّوْمَ انْغِمَارٌ وَغَلَبَةٌ عَلَى الْعَقْلِ يَسْقُطُ بِهِ الْإِحْسَاسُ، وَاللَّهُ -تعالى- مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ، وَهُوَ مُسْتَحِيلٌ في حقه -جل وعلا-".

وبما تقدَّم يُعْلَم أن هذين الاسمين: الحي القيوم، هما الجامعان لمعاني الأسماء الحسنى، إذ جميع صفات الباري -سبحانه- راجعة إلى هذين الاسمين، فعليهما مدار الأسماء الحسنى، وإليهما ترجع معانيها جميعها، فالحي الجامع لصفات الذات، والقيوم الجامع لصفات الأفعال.

فالصفات الذاتية، كالسمع، والبصر، واليد، والعين، ونحوها راجعة إلى اسمه الحيّ، وصفات الله الفعلية، كالخلق، والرَّزق، والإنعام، والإحياء، والإماتة، ونحوها راجعة إلى اسمه القيوم؛ لأن من دلالاته أنه المقيم لخلقه خلقًا، ورَزقًا، وإحياء، وإماتة، وتدبيرًا، فرجعت الأسماء الحسنى كلها إلى هذين الاسمين.

ولذا ذهب بعض أهل العلم إلى أنهما اسم الله الأعظم، الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى، وقد ورد هذان الاسمان في أكثر الأحاديث التي فيها إشارة إلى اسم الله الأعظم.

اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: آية الكرسي، وفاتحة آل عمران؛ لاشتمالهما على صفة الحياة المصححة لجميع الصفات، وصفة القيومية المتضمنة لجميع الأفعال.

وقد تحدَّث ابن القيم -رحمه الله- عن عظيم أثر الدعاء بهذيْن الاسمين، ولا سيّما في دفع ما ينتاب الإنسان من كرب أو هم أو شدة، فقال -رحمه الله- في تأثير قوله تعالى: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث: "في دفع هذا الداء مناسبة بديعة، فإن صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال مستلزمة لها، وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الأفعال، ولهذا كان اسم الله الأعظم الذي دعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى هو اسم: الحي القيوم، والمقصود أن لاسم الحي القيوم تأثيرًا خاصًا في إجابة الدعوات وكشف الكربات، وفي السنن مرفوعًا: (اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: { وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } ، وفاتحة آل عمران:{الم * اللهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ})، قال الترمذي: "حديث صحيح".

وفي السنن أيضًا من حديث أنس، أن رجلًا دعا فقال: اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ بأنَّ لَكَ الحمدُ لا إلَهَ إلَّا أنتَ المنَّانُ بديعُ السَّمواتِ والأرضِ يا ذا الجلالِ والإكرامِ يا حيُّ يا قيُّومُ فقالَ النَّبيُّ -ﷺ- لقد دعا اللَّهَ باسمِهِ العظيمِ الَّذي إذا دعيَ بِهِ أجابَ وإذا سئلَ بِهِ أعطى "صحيح أبي داود

📝ولهذا كان النبي -ﷺ- إذا اجتهد في الدعاء قال: (يا حي يا قيوم)" انتهى كلام ابن القيم رحمه الله.

وعن أبي أمامة، أن النبي -ﷺ- قال: " اسْمُ اللهِ الأعْظَمُ الذي إذا دُعِيَ بهِ أجابَ؛ في ثلاثِ سُوَرٍ من القُرآنِ: في (البَقرةِ) و (آلِ عِمْرانَ) ، و (طه) " صحيح الجامع

قال القاسم: "فالتمستها إنه الحي القيوم" (الحاكم)

وكل ذلك يدل أعظم دلالة على عظم شأن هذين الاسمين وجلالة قدرهما وما يقتضيانه من الذلّ والخضوع لله -عزَّ وجل-، والله –تعالى- قال: (وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا) [طه:111]

📌إن واجبات المسلم نحو اسم الله القيوم، منها:

❍دعاء الله -تعالى- وذكره بهذا الاسم: فعن أنس بن مالك أن النبي -ﷺ- قال لفاطمة: " ما يمنعُكِ أن تسمَعي ما أُوصيكِ به؟ أن تقولي إذا أصبحْتِ وإذا أمسَيتِ: يا حيُّ يا قيُّومُ برحمتِك أستغيثُ، أَصلِحْ لي شأني كلَّه، ولا تَكِلْني إلى نفسي طرفةَ عَيْنٍ " صحيح الترغيب

✉وفي كل صباح نستغيث به ونقول يا حي يا قيوم برحمة استغيث إذا وكلنا الى أنفسنا طرفة عين نهلك، ما هي الجلطة نتفكر تجلط نقطة دم مثل رأس الدبوس من أجرها في عروقنا منذ كنا أجنة في بطون أمهاتنا، لا حول ولا قوة لنا الا بالحي القيوم، كمال حياته وقيوميته حتى نعلم افتقار العالم العلوي والسفلي له سبحانه عزوجل.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: كان النبي -ﷺ- إذا قام من الليل يتهجد قال: " اللَّهُمَّ لكَ الحَمْدُ أنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ ومَن فِيهِنَّ " صحيح البخاري

وقال رسول الله -ﷺ-: " من قال أستغفرُ اللهَ الَّذي لا إلهَ إلَّا هو الحيُّ القيُّومُ وأتوبُ إليه غُفِر له وإن كان فرَّ من الزَّحفِ " الترغيب والترهيب

✉ومنها: الإيمان بعدم انقطاع قيومية الله -تعالى- أبدًا؛ فما تعتريه -عز وجل- غفلة، ولا تأخذه سِنة ولا نوم، ولا يطاله -سبحانه- فناء ولا موت قال -عز من قائل-: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) [الرحمن: 26-27].

✉كذا الإقرار بحاجته في وجوده وبقائه وحفظه إلى قيومية الله -عز وجل-: وكذا كل الكائنات؛ فلولا الله خلقنا لما وُجدنا، ولولا الله يرزقنا لما حيينا، ولولا الله يحفظنا ويحمينا لهلكنا، ولولا الله حي قيوم لا يغفل ولا ينام لما بقي الكون ولا الدنيا؛ فما استقام أمر الكون إلا بقيوميته -سبحانه وتعالى-، القائل: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ) [الروم: 25]؛ فالخلائق جمعاء مفتقرة في كل أحوالها إلى الله "الحي القيوم".

ومنها: إدراك الفرق بين الخالق والمخلوق: فقد استدل الله -عز وجل- على عدم ألوهية عيسى بن مريم بأنه كان يحتاج في حياته إلى الطعام، فقال -عز من قائل-: (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ) [المائدة: 75]، واستدل -سبحانه وتعالى- على أنه إله بأن لا يأكل الطعام؛ فليس محتاجًا في قيامه إلى شيء، قال -تعالى-: (وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ) [الأنعام: 14].

📌من الآثار الإيمانية لاسم الله "القيوم" الاستغناء عن الخلق:

أن المؤمن متى أعطى هذا الاسم الكريم حقه من العلم والعمل بمقتضاه فقد استيقن أن الله تعالى قائم بتدبير أمور العباد وأرزاقهم وجميع أحوالهم، كما أن من أعطى هذا الاسم حقه من التعبد به لله تبارك وتعالى فقد توكل على ربه، وانقطع رجاؤه من الخلق إلى الله تعالى، واستغنى عما في أيديهم إلى ما في يدي الله تبارك وتعالى لأن العباد محتاجون مفتقرون إلى خالقهم في قيامهم وقعودهم وحركاتهم وسكناتهم في دنياهم وأخراهم وفي حياتهم وبعد مماتهم. الموسوعة العقدية - الدرر السنية

من الآثار الإيمانية لاسم الله "القيوم" معرفة قدر الدنيا:

الدنيا دار امتحان وهي مليئة بالفتن والأكدار والمنغصات، لذاتها وشهواتها مهلكة، ونعمها زائلة، إذا حلت أوحلت، وإذا كست أوكست، فلم تَصْفُ لأحد، بل أهلها في شقاء وكبد من كثرة ما فيها من ابتلاءات وآفات، لذلك إذا لم يكن القلب موصولا بربه، عارفا بأسمائه وصفاته، بصيرا بمعانيها ودلائلها واستحقاقاتها، فإنه يعيش وسط هذه الدنيا بأمواج فتنها وبلاياها ونوازلها، بلا طوق إنقاذ ولا سند نجاة، غريق لا محالة، تائه ضائع ساخط، وهذا هو حال كثير من الناس كما قال الله عز وجل (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ) [المعارج: 19 - 22].

من آثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين (الحي القيوم):

ومع ظهور آثار قيوميته سبحانه لكل شيء من المخلوقات جامدها، ومتحركها، فاجرها، وتقيها إلا أن لآثار قيوميته سبحانه بأوليائه وبمن أحبه← شأنًا آخر وطعمًا خاصًا يظهر في حفظه ولطفه ورعايته بعباده المتقين، وهذا يقتضي محبة الله - عز وجل- المحبة التامة، والركون إليه، والتعلق به وحده، والسكون إليه، والرضا بتدبيره..

وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:

⇦"هو سبحانه (القيوم) المقيمُ لكلِّ شيءٍ من المخلوقات - طائعِها وعاصيها - فكيف تكون قيوميته بمن أحبَّه وتولاه؛ وآثره على ما سواه، ورضي به من دون الناس حبيبًا، وربّاً، ووكيلاً، وناصرًا، ومعينًا، وهاديًا؟".

والعبد المؤمن حينما يدرك أن الله تعالى قيوم قائم بالقسط والتدبير، ومنفرد بالمشيئة والتقدير، عنده خزائن كل شيء، لا ينزله إلا بقدر معلوم، وأنه كفيل قائم بأمره ورزقه، أدى ذلك إلى اعتماده على ربه في كل شيء، ووثق به دون كل شيء، وقنع بكل ما جاءه من ربه، وصبر على ما ابتلاه به، فلا يطمع في سواه، ولا يرجو إلا إياه، ولا يشهد في العطاء إلا مشيئته، ولا يرى في المنع إلا حكمته، ولا يعاين في القبض والبسط إلا قدرته وقيوميته، فيكثر من دعائه وذكره لاسيما إذا حزبه هم أو لحقه كرب، فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ -ﷺ-إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ: "يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ" (صحيح الجامع).

فهو الحي القيوم ... من استغاث به أغاثه... ومن طلب العون منه أعانه... ومن طلب النصر منه نصره... ففي المستدرك عن علي بن أبي طالب، قال :(لما كان يوم بدر... قاتلت شيئا من قتال... ثم جئت مسرعا... لأنظر إلى رسول الله -ﷺ- ما فعل... فجئت ...فأجده وهو ساجد يقول: «يا حي يا قيوم» لا يزيد عليها ... فرجعت إلى القتال... ثم جئت وهو ساجد ، يقول ذلك ، ثم ذهبت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك ، فلم يزل يقول ذلك... حتى فتح الله)...

التعبد لله عز وجل "الحي القيوم":

اعلم أن من حق ربك عليك أن تعرف أسماءه الحسنى، وصفاته العلى، وتبصر القائم على كل نفس، الذي قام كل شيء به، وترى الحي القيوم الذي لا ينام أبداً.

فإذا عرفت ذلك قمت بين يدي ربك خاشعاً ذليلاً بالمحبة والتعظيم، وقضيت أوقاتك في طاعته، واستعملت جوارحك في عبادته، (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ) [الزمر: ٩] .

فسبحان من كل شيء له عابد، ولعزته خاضع، ولرحمته راج، ولإحسانه محتاج، (وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) [آل عمران: ٨٣] .

فارغب إلى مولاك الكريم بالقيام بحسن الطاعة، ودوام العبادة، تنال الأجر الكبير، (وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)[الأحزاب:٧١].

واعلم رحمك الله أنك للبقاء خُلقت ولم تخلق للفناء، وإنما تُنقل من دار إلى دار لتجزى بعملك، ثم تستقر في دار القرار حسب ما عملت في الجنة أو النار، (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاء الْآخِرَةِ فَأُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ) [الروم/١٤-١٦].

فاعقل رحمك الله من أنت؟ وعبدُ من أنت؟ ولِمَ خُلقت؟ وما الذي يريد ربك منك؟

وإذا عرفت أن ربك هو الحي القيوم، وإليه تنتهي الأمور، وعنده خزائن الأجور، فاعمل له بكل جهد، ولا تستبق منك باقية في العمل له بطاعته، فقد أعد الله لك بقاءً كريماً لا فناء بعده

(وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة /٧٢] .

وقد أهّلك مولاك الكريم لأمر عظيم، ومقام كريم، وملك لا يفنى إن أطعته وعملت بما يحب

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ) [القمر :٥٤-٥٥] .

فأرضه بدوام ذكره وشكره وحسن عبادته، فسيرضيك ويسترضيك (وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [الروم: 6].

وإن رغبت عنه وجعلته وراء ظهرك فاعلم أنك لا بد باق في عذاب أليم لا يبيد ولا يفنى، ولا يموت فيه الإنسان ولا يحيا، (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ)

[هود:١١٢-١١٣].

اعلم أن الله كما داوم عليك بإحسانه، وتابع عليك إنعامه، فداوِم أنت على ذكره، وشكره، وحسن عبادته، ليديم عليك ذلك، ويزيدك من نعمائه (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) [إبراهيم / ٧].

فكن قائماً على نفسك بحملها على طاعة الله، واجتناب معصيته، واستعمل جوارحك فيما يحبه ربك ويرضاه من العبادة، والدعوة إلى الله، وتعليم شرعه، والإحسان إلى الخلق بالعلم والمال والبدن، ومن أحسن في الدنيا أحسن الله إليه في الدنيا والآخرة (هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) [الرحمن:٦٠].

«اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ، وَبِكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » متفق عليه .

ومن حديث أبي بكرة رضي الله عنه، أن النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ: " دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ "صحيح الجامع.

هذا الدعاء من أعظم الأدعية التي تتضمن تحقيق العبودية لله رب العالمين، وتتضمن التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته، فهو سبحانه الحي القيوم، الرحمن الرحيم، والعبد يستمد العون والتأييد من قيوميته عز وجل، كما يستغيث برحمته التي وسعت كل شيء، لعله ينال منها ما يسعده في دنياه وآخرته.

ثم يسأل الله تعالى صلاح الأمور والأحوال، فيقول: (أصلح لي شأني كله) أي: جميع أمري: في بيتي، وأهلي، وجيراني، وأصحابي، وعملي، ودراستي، وفي نفسي، وقلبي، وصحتي...في كل شيء يتعلق بي، اجعل يا رب الصلاح والعافية حظي ونصيبي.

وذلك كله من فضل الله سبحانه وتعالى، وليس باستحقاق العبد ولا بجاهه، ولذلك جاء ختم الدعاء بالاعتراف بالفقر التام إليه سبحانه، والاستسلام الكامل لغناه عز وجل، فيقول: "ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين": أي لا تتركني لضعفي وعجزي لحظة واحدة، بل أصحبني العافية دائما، وأعني بقوتك وقدرتك، فإن من توكل على الله كفاه، ومن استعان بالله أعانه، والعبد لا غنى به عن الله طرفة عين.

يقول ابن القيم رحمه الله:" مِن ههنا خذل مَن خُذل، ووُفِّقَ مَن وُفق، فحجب المخذول عن حقيقته ، ونسي نفسه ، فنسي فقره وحاجته وضرورته إلى ربه ، فطغى وعتا ، فحقت عليه الشقوة ، قال تعالى :(كَلاَّ إِنَّ الإنسَانَ لَيَطْغَى أَن رآه اسْتَغْنَى) وقال :(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ) فأكمل الخلق أكملهم عبودية، وأعظمهم شهودا لفقره وضرورته وحاجته إلى ربه ، وعدم استغنائه عنه طرفة عين .ولهذا كان من دعائه : (أصلح لي شأني كله ، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا إلى أحد من خلقك) ، وكان يدعو : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك .يعلم أن قلبه بيد الرحمن عز وجل ، لا يملك منه شيئا ، وأن الله سبحانه يصرفه كما يشاء ، كيف وهو يتلو قوله تعالى :(وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا) فضرورته إلى ربه وفاقته إليه بحسب معرفته به ، وحسب قربه منه ، ومنزلته عنده " انتهى. "طريق الهجرتين" (25-26) .

يقول ابن القيم: "اجمع العارفون بالله على أن الخذلان: أن يكلك الله إلى نفسك ويخلي بينك وبينها والتوفيق أن لا يكلك الله إلى نفسك.

✉فالعبيد متقلبون بين توفيقه وخذلانه بل العبد في الساعة الواحده ينال نصيبه من هذا وهذا فيطيعه ويرضيه ويذكره ويشكره بتوفيقه له ثم يعصيه ويخالفه ويسخطه ويغفل عنه بخذلانه له فهو دائر بين توفيقه وخذلانه.

✉فمتى شهد العبد هذا المشهد وأعطاه حقه علم شدة ضرورته وحاجته إلى التوفيق في كل نفس وكل لحظه وطرفة عين.

✉وأن إيمانه وتوحيده بيده تعالى، لو تخلى عنه طرفة عين لسقط عرش توحيده، ولخرت سماء إيمانه على الأرض، وإن الممسك له: هو من يمسك السماء أن تقع على الارض الا بإذنه".

✉يا حي يا قيوم برحمتك استغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني الى نفسي طرفة عين، في رفع هذا الدعاء مناسبة بديعه، فإن صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال، مستلزمة لها، وصفة القيوميه متضمنه لجميع صفات الأفعال، ولهذا كان اسم الله الاعظم الذي إذا دعي به اجاب وإذا سئل به اعطى :هو اسم الحي القيوم، والحياة التامة تضاد جميع الأسقام والآلام، ولهذا لما كملت حياة أهل الجنة لم يلحقهم هم ولاغم ولا حزن ولا شيء من الآفات، ونقصان الحياة تضر بالأفعال وتنافي القيوميه فكمال القيوميه لكمال الحياة، فالحي المطلق التام الحياة لا تفوته صفة الكمال ألبته، والقيوم لا يتعذر عليه فعل ممكن ألبته، فالتوسل بصفة الحياة والقيوميه له تأثير في إزالة ما يضاد الحياة ويضر بالأفعال.

كَثِيرٌ منَ النّاسِ يَتَكَلّفُ الدّعاء بِكَلِمَاتٍ غَرِيبةٍ مُريبةٍ وَبِأَحَادِيثَ لا أصْلَ لها ،وَمَعَ ذلكَ يَرْجُو إجابةَ دَعْوَتِهِ ، وَلَو اكْتَفَى بِدُعاءِ اللهِ تَعالى بِأسْمائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ العُلى بِيقينٍ وإخْلاصٍ لَكانَ أفْضلُ وأقْربُ إلى الإجابةِ ، وقدْ أمَرنا اللهُ تعالى أنْ نَدْعُوهُ بِها فقالَ تَعالى ((وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا)) وعنْ أنسٍ رضي اللهُ عنهُ أنَّ النبيَّ -ﷺ- : "كانَ إذا حَزَبَهُ - أيْ أهَمّهُ وأحْزنَهُ- أمْرٌ قالَ: "يا حيُّ، يا قيومُ، برحمتِك أستغيثُ" رواهُ الترمذي وحسّنه الألباني.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- جَالِسًا فِي الْحَلْقَةِ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ فَتَشَهَّدَ، ثُمَّ قَالَ فِي دُعَائِهِ: "اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، يَا بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ"، فَقَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: "أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا اللهَ؟"، فَقَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى" صححه الألباني في الأدب المفرد.

فاللهم يا حي يا قيوم عليك نتوكل وبك نتمسك وبك نصول ونجول، أصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين أبدًا؛ فلا غنى بنا عنك، يا حيُّ يا قيومُ أصْلِحْ لِي أعمالنا، يا حيُّ يا قيومُ أصْلِحْ لِي ذُرّيـاتنا، يا حيُّ يا قيومُ نسألُكَ النجاحَ والفلاحَ، يا حيُّ يا قيّومُ أصْلِحْ لِنا شَأْننا كُلَّهِ ؛ ندعوا ربَّنا بِأسْمائِهِ الْـحُسْنى وَنتذلل بينَ يديْهِ ونرْجُوه ونسْتَغْفِرُه ،وصلى الله على محمد وسلم تسليما كثيراً.

المراجع:

خطبة من أسماء الله: الحَيُّ القَيُّومُ: الشيخ / وليد بن سالم الشعبان

اسم الله القيوم: ملتقى الخطباء - الفريق العلمي

ولله الأسماء الحسنى - عبد العزيز الجليل

كتاب التوحيد (فقه أسماء الله الحسنى) - محمد التويجري